قوانين السعادة

7- كن مفتاحا للخير

من دعاء عباد الرحمن الوارد في سورة الفرقان: وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا [الفرقان: 74]

والكثير منا إذا قرأ هذه الآية أو سمع هذا الدعاء يظن أن (واجعلنا للمتقين إماما) يعني إماما في الصلاة فقط .

كلا ؛ فإن الآية تشمل كل من كان قدوة يتبعه الناس في باب من أبواب الخير، فكما أن هناك إماما في الصلاة فينبغي أن نعلم أن هناك إماما في القرآن ،

وإماما آخر في التفسير، وفي الحديث، وفي التجويد ، وإماما في فعل الخيرات، وإماما في الذكر، وإماما في السعي للصلح بين الناس، وإماما في كفالة اليتيم، وإماما في إطعام الجوعى والفقراء والمساكين، وإماما في البحث عن المرضى الذين لا يجدون العلاج فيعينهم .

إذن فكل من يتقدم إماما للناس لفعل خير فهو إمام (اللهم اجعلنا للمتقين إماما)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه" رواه الإمام ابن ماجه ،وحسنه الألباني

في هذا الحديث قسم النبي ﷺ الناس قسمين:

- مفاتيح للخير.
- ومفاتيح للشرِّ

القسم الأول/ مفاتيح الخير

هؤلاء جعل الله وجودهم في الدنيا رحمة وخيرا وبركة وهداية للناس ، يحبون الخير، ويبحثون عن أي باب فيه منفعة للناس فيبذلون جهدهم لفتحه ، وتجد الواحد منهم ناصحا ومعلما وهاديا ومصلحا ، فهو ساع بالخيرات لوجه الله ،

فهم الذين قال عنهم الرسول ﷺ (خير الناس أنفعهم للناس)

وتجد الرجل من هؤلاء الصنف ما تنافس الناس في خير إلا وكانت أقدامهم إليه أسبق وأياديهم إليه ممتدة ؛ فهم أئمة في الخير.

القسم الثاني / مفاتيح الشر

هؤلاء الواحد منهم تجده داعيا إلى ضلالة أو بدعة أو ساعيا في ظلم ؛ فهو إمام في البدعة، أو إمام في الضلالة والشر كما قال الله عن فرعون وجنوده (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون) [القصص:41]

الآن سل نفسك من أي الفريقين أنت ؟

مفتاح خير مغلاق شر ؟

أم مغلاق خير مفتاح شر ؟

ولاحظوا من كلام النبي – ﷺ– أن من فتح باب خير أغلق باب شر والعكس بالعكس :

- فالذي يدعو إلى التوحيد والإيمان بالله فهو يغلق باب شرك وإلحاد .
- الذي يفتح باب الحلال يغلق باب الحرام .
- الذي يفتح بابا للفضيلة يغلق بابا للرذيلة.
- الذي يفتح بابا للسنة يغلق بابا للبدعة.

والعكس بالعكس

- الذي يدعو إلى بدعة فقد أغلق بابا للسنة .
- من دعا إلى الحرام وحبب الناس في الرذائل فإنه يغلق باب الفضائل ....الخ

وقد جمع النبي ﷺ هذا المعنى في حديث آخر فقال : (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا)

فمن كان مفتاحا للخير تجده في اي مكان يحل فيه رحمة وبركة يبحث عن المصلحة ، فيعلم وينصح ويهدي ويسارع بالخيرات ويقترح اقتراحا إيجابيا وقد يقول كلمة طيبة، هذه الكلمة تكون سببا لبناء مسجد، أو سببا لبناء مستشفى ، أو سببا لإنشاء مدرسة، أو سببا لإحياء لسنة.

سهيل بن عمرو ثبت الله به أهل مكة:

عندما وقع سهيل بن عمرو أسيرا في غزوة بدر اقترب عمر بن الخطاب من رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله.. دعني أنزع ثنيتي سهيل بن عمرو حتى لا يقوم عليك خطيبا بعد اليوم”..

فأجابه الرسول: ﷺ كلا يا عمر..لا أمثل بأحد، فيمثل الله بي، وان كنت نبيا، يا عمر..لعل سهيلا يقف موقفا يسرك غدا “...!!

وعندما حدثت فتنة الردة بعد وفاة الرسول ﷺ وقف سهيل عليهم خطيبا فقال يا أهل مكة ، لا تكونوا آخر من أسلم وأول من ارتد بعد موت النبي ﷺ فثبت الله أهل مكة بكلامه.

ما أحسن هذا الصوت لو كان بقراءة كتاب الله تعالى:

كان زاذان مغنياً .. صاحبَ لهو وطرب فمر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بمكان كان يغني فيه زاذان ، فقال : ما أحسن هذا الصوت لو كان بقراءة كتاب الله تعالى ..ثم مضى .. فقال زاذان لأصحابه : من هذا ؟ قالوا : عبد الله بن مسعود ..قال : صاحب رسول الله ﷺ؟!!

قالوا : نعم .. قال زاذان .. فألقى في نفسي التَّوبة ، فسعيت أبكي ، وأخذتُ بثوبه ، فأقبل علي فاعتنقني وبكى ، وقال : مرحبا بمن أحبه الله ، ثم لازم زاذان ابن مسعود حتى تعلم القرآن .. وصار إماماً في العلم .

فنلمس من هذه القصة أثر كلمة ابن مسعود في زاذان ، بالرغم أن ابن مسعود قال كلمة بسيطة ولكن انظروا مدى تأثر ذلك الشاب بها .
وفي هذا درس لنا أننا نحرص على حسن اختيار الألفاظ مع العصاة الذين يرجى منهم الخير .

سبب تأليف البخاري لصحيحه:

يذكر العلماء أن البخاري سمع شيخه إسحاق بن راهويه يوما يقول : "لو جمعتم كتاباً مختصرا لصحيح سنة رسول الله ﷺ"، قال: "فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع الصحيح"

أبو حنيفة والشعبي:

كان أبو حنيفة تاجر قماش يبيع في السوق ، فمر ذات يوم بالشعبي، وهو تابعي فقيه ومحدث؛ فقال له: إلى من تختلف؟ (يقصد من تذهب إليه؟)

فقال: أختلف إلى فلان.

قال: لم أعنِ إلى السوق، عنيت الاختلاف إلى العلماء.

فقال: أنا قليل الاختلاف إليهم.

فقال له الشعبي: عليك بالنظر إلى العلم ومجالسة العلماء، فإني أرى فيك ذكاء وفطنة.

قال أبو حنيفة: فوقع في قلبي من قوله، فأخذت في العلم، فنفعني الله بقوله.

انظر ماذا يقولون؟

وعلى النقيض من ذلك من يتكلم بالكلمة فيها شر وأذى..... وللأسف نحن في زمن صار الناس يطربون للفضائح ، والخوض في الأعراض ، وهتك أستار

الناس وحياتهم الشخصية ....

يا أخي الحبيب اذكر الخير فينتشر ودع الشر فيندثر.

وأحيانا ينشرها البعض مستنكرا يقول: انظر ماذا يقولون؟

اسمع لهذا المقطع الذي فيه فضيحة أخلاقية لفلان أو فلانة ...

يا أخي هل تظن الناس على قلب أبي بكر الصديق ؟

هناك من سيرى ويستنكر ويقول أعوذ بالله ....

وهناك من سيتلقفها مع ضعف إيمانه وربما وقعت الشبهة أو الشهوة في قلبه بسبب ذلك .

فانتبهوا إخواني فقد نساهم في نشر الشر دون أن نتعمده.

كن مفتاح خير مغلاق شر

اذكر الخير واحرص عليه وانشره، فإذا رأيت شرا فاطوه وأمته بعدم ذكره ، وإذا وجدت نقصا في عمل من أعمال الخير فانصح برفق ولطف أو مد يدك معينا لهم ، بعض الذين لا يجيدون إلا النقض (وليس النقد) إذا وجد نقصا في عمل خير سلق الناس العاملين به بلسان حاد ويتهمهم في ذمتهم ودينهم ونواياهم ، ويكيل لهم الاتهامات بلا دليل ، فكن يا أخي مفتاحا للخير وتعاون في

كل باب فيه خير، وقدوتك في ذلك أمامنا المعصوم حينما شارك قبل البعثة في حلف الفضول الذي تعاهدوا فيه على نصرة المظلوم ، حتى أنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ قال بعد أن أكرمه الله بالنبوة والرسالة: (لقد شهدت مع عمومتي حلفا في دار عبد الله بن جدعان، ما أحبّ أن لي به حمر النعم ، ولو دعيت لمثله في الإسلام لأجبت)

ولسان حالنا ما قاله الشاعر :

أنا نفس محبة كل خير كل شيء حتى صغير النبات

فكونوا عباد الله مفاتيح الخير مغاليق الشَّرِّ

تفلحوا وتسعدوا في الدُّنيا والآخرة،

وتُسعدوا غيركم وتنالوا رضا ربِّكم.
نسأل الله تعالى أن يرينا الحقَّ حقًّا ويرزقنا اتِّباعه،

ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه،

وأن يجعلنا هداةً مهتدين،

مفاتيح للخير مغاليق للشَّرِّ،

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.